# إسهام الثقافة الإسلامية في رُقي الإنسان

إعداد: د. موسى محمد نور الضو آدم*

**المقدمة:**

الحمد لله الذي أكمل لنا الدين وأتم علينا النعم وجعلنا أتباع أشرف المرسلين محمد صلى الله عليه وعلى اله وصحبه وسلم تسليما كثيرا ومن اتبعه بإحسان إلى يوم الدين. أما بعد إن الثقافة الإسلامية ثقافة عالمية بشرية تدعو إلى الخير والإصلاح والبناء والأعمار في كل المجالات الإنسانية ونواحي الحياة فلا تمييز بين عرق وعرق إلا بالتقوى، ومن ثم ارتقت الحياة الإسلامية وذاع صيتها في أرجاء المعمورة واستفاد من علمائها الذين بهروا الدنيا بعلمهم، فجاء هذا البحث متناولاً وموضحاً أن الثقافة الإسلامية مكوناً معرفياً، يصنع خصوصيتها مكون القيم، مما جعل خصائصها تسهم في التقدم الإنساني والرشد العالمي، وذلك لأنها منطلقة من القرآن الكريم الذي جاء رحمة للعباد، ومن الرسالة المحمدية التي جاءت بالبشرى والرحمة لكافة الناس قال تعالى:﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾الأنبياء: ١٠٧. والثقافة الإسلامية إنسانية لأنها تبدأ بمعرفة الإنسان ما له وما عليه مراعية ذلك الأشياء التي لا يقدر عليها الإنسان، قال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾البقرة: ٢٨٦ وهي فاصل نوعي بين الإنسان وسائر المخلوقات، بل أنها قوام الحياة الاجتماعية وظيفةً وحركة. القيم الإسلامية تحقق وظائف عدّة، ففيما يتعلق بالفرد تحاول رفعه فوق مرتبته الراهنة، وتعمل على العلوّ به عن المستوى الحيواني الذي يقتصر على الماديات من طعام وشراب، إلى المستوى اللائق بكرامة الإنسان وتقدمه ورقيه، وفيما يتعلّق بالمجتمع فإنها تحقق أعظم عامل للربط بين أفراده والسمو بالجماعة من المرتبة المادية الحيوانية إلى مرتبة الحضارة والمدنية، وتقيم

* أستاذ مساعد بقسم الدعوة والثقافة الإسلامية – رئيس إدارة التدريب والنشاط الدعوي بالكلية

الصلات بين الأفراد والهيئات في المجتمع على أسس نبيلة كريمة تعتمد على الإيثار والتفاني في سبيل الخير، والصفات التي وصف الله تعالى بها نفسه تبقى أمام الإنسان منارات يترسمها في فكره وسلوكه، فالكرم والحلم والإحسان والرأفة والرحمة كلّها قيم عليا، ترفع المؤمن إلى تمثلها في سلوكه وحياته. فالثقافة الإسلامية تمتلك من الخصائص الذاتية ما يجعلها تلتقي مع الفطرة، و تحقق إنسانية الإنسان، وتحمي كرامته، وتصون حريته، وتحقق له اختياره، وتهديه إلى المنهاج الحق، الذي يشكل دليل التعامل مع الحياة والأحياء.

والقرآن الكريم هو المصدر الأصيل للثقافة الإسلامية، وبقي هذا المصدر صافياً، وسيظل صافياً نقياً إلى يوم القيامة، وكل هذا يرجع إلى أن الله سبحانه وتعالى تكفل بحفظه، وهذا مالا يتوفر في كل الكتب السابقة، التي تطاولت إليها يد البشر مبدلةً ومحرفة. وهو كلام الله سبحانه وتعالى، الذي تنهل منه الثقافة الإسلامية التي تمتلك خصائص كثيرة تنفرد بها وتميزها عن غيرها من كل الثقافات السائدة والبائدة، وتجعلها ذات طبيعةٍ خاصةٍ، وصبغةٍ متفردةٍ، وشخصيةٍ مستقلةٍ، فلذلك تناولت بعض من هذه الخصائص كالربانية التي تنسب إلى الرب سبحانه وتعالى، والعالمية التي جاء بها الإسلام لكل البشر، والإيجابية التي تظهر في عدم إيذاء الآخرين، والشمول الذي جعلها محيطة بالإنسان لكل ما يحتاجه، وبينت مدى إسهام الثقافة الإسلامية في رُقي الإنسان من خلال هذه الخصائص المذكورة.

**ملخص البحث:**

يعالج هذا البحث قضية رُقي الإنسان من خلال خصائص الثقافة الإسلامية. تحدثت فيه عن: مفهوم الثقافة في اللغة، وخلصت فيها إلى أنها التهذيب والحذق والفطنة والتقويم وسرعة التعلم، ودلفت إلى تعريفها في الاصطلاح: ووجدتها ذات أبعاد كبيرة ودلالات واسعة، فهي: الإلمام الواسع عن طريق البحث والتنقيب في مجموعة كبيرة من العلوم. وعرفتها في الاصطلاح الإسلامي: حيث لم يعرف هذا المصطلح لدى المسلمين ولم يتداول بمعناه الشائع إلاّ بعد الاتصال بالثقافات والحضارات الأُخرى،ثم انتقلت لبيان خصائص الثقافة الإسلامية التي تميزها عن الثقافات الأخرى والتي أخذت منها أنموذجا تمثل في: الربانية، والإيجابية، والشمول، والعالمية، ولقد كان لهذه الخصائص مساهمة كبيرة في رُقي الإنسان، وهي التي تُؤهل للقيادة، وإلحاق الرحمة بالعالمين. تحدثت عن الربانية كونها أول الخصائص،ومن أعظم مزاياها أن الوحي الإلهي وضع أصلها وحدد معالمها، فهي الوحيدة من بين الثقافات التي ترجع في مصدرها لله وحده، عكس الثقافة الغربية التي تستمد مصدرها من الفكر الفلسفي اليوناني والقانون الروماني والنصرانية المنحرفة أو الفلسفة الوضعية. ثم انتقلت لخاصية الشمول فوجدت هذه الخاصية جمعت الشعوب والقبائل والقوام، وحققت النقلة النوعية من دولة اللون والجنس والأرض إلى أمة ودولة الفكر والعقيدة، حيث أصبح الكسب والاختيار هما معيار التفاضل، وتحقيق كرامة وإنسانية الإنسان.

وتحدثت عن الإيجابية وما تقدمه هذه الخاصية إسهاماً في رُقي الإنسان يتمثل في اهتمامها بالقيم الإنسانية، وإلزامها الإنسان بالعمل والإخلاص فيه حسب طاقته وإمكاناته ومواهبه، وتحذره بشدة من التواكل والتخاذل والتكاسل، وإحساس المسلم بمسؤوليته، ومكانته وبأهمية خلقه في هذه الحياة الدنيا، وعدم إيذاء الآخرين، والإحسان إليهم، و تحديد دور الفرد والمؤسسة والأسرة والمجتمع والدولة في حراسة

الهوية، وتربط ذلك بمعطيات التاريخ الإسلامي،هذا ما يجعل المسلم محيطاً بكل جوانب الحياة من حوله غير معتكف على نفسه، مهتم بغيره ومحترم لحقوقهم.

وتحدثت عن العالمية التي تميزت الثقافة الإسلامية بها، وتستمدها من عالمية الإسلام الذي جاء منادياً بأنه دين عالمي، لكافة الناس، بقيمه المثلى التي تصلح لكل زمان ومكان وتتصهر مع التصورات والأفكار الجديدة، وهذه تُسهم في رُقي الإنسان من خلال أنها إنسانية لا تفرض نفسها على الآخرين، بل تعرفهم وتعترف بهم، فهي لم توضع لجنس ولا للون ولا لبيئة معينة، بل موجهة للبشرية جمعا،تأمر بمكارم الأخلاق والتسامح والإخاء والعفو والتعاون على أساس أن البشرية تشمل وحدة إنسانية متكاملة تحث على التعايش السلمي العالمي بين أبناء الشعوب عن طريق التعارف بما يفضي إلى إسعاد البشر.

**Abstract**

This research addresses the issue of paper through human characteristics of Islamic culture. Talked about: the concept of culture in the language, and concluded where it polite and Wiz and business acumen, calendar and speed of learning, and Delft to define the terminology: and found large in size and significance and wide, they are: familiarity with the broad through research and exploration in a wide range of sciences. And defined in the terminology of Islamic: where did not know this term for Muslims not trading sense is common only after contact with cultures and other civilizations, and then moved to the characteristics of Islamic culture that distinguish them from other cultures, which took Menhanmozja represent: Lord, and positive, and inclusive, and the World, and has been for these properties contribute significantly to the advancement of human, which would qualify for leadership, and inflict compassion worlds. talked about the Lord being the first properties, one of the greatest advantages that divine revelation put origin and select landmarks, they are only one of the cultures which returns at source to God alone, unlike Western culture which derives its source from the Greek philosophical thought and Roman law and Christianity distorted or positivism. then moved to property coverage and found this property collected peoples and tribes and textures, and achieved a qualitative leap from the State of color, sex and the earth to the nation and the state of thought and belief, where he became earning and choice are the standard differentiation, and achieve human dignity and humanity. And talked about the positive and what they offer this property to contribute to the advancement of human is in their interest to human values, and forcing human work and dedication it according to his ability and

potential and talents, and warning him strongly of dependency and weakness and laziness, and a sense of Muslim responsibility, and prestige and importance of his creation in this life, and not to harm others, and treat them, and determine the role of the individual and the institution, the family, society and the state in guard identity, and linking it with data Islamic history, this is what makes the Muslim surroundings in all aspects of life around him is the same retreat, interested in someone else, and respectful of their rights.

And talked about the world that has characterized Islamic culture them, and derive from the universality of Islam who came calling as a universal religion, for all people, valued at optimum fit every time and place and fused with perceptions and new ideas, and this contributes to the advancement of human through it humanely does not impose itself on others, but you know and recognize them, they are not put to the sex nor color nor for a certain environment, but directed to mankind collectively, ordered بمكارم morality, tolerance and brotherhood, forgiveness and cooperation on the basis that human include unit humanitarian Mtalhtges peaceful coexistence World between peoples through dating leading to happiness of human beings

## المبحث الأول

## تعريف الثقافة في اللغة والاصطلاح

**أولاً: الثقافة في اللغة:**

بالرجوع إلى معاجم اللغة العربية نجد أن لكلمة (الثقافة) عدة معان ومشتقات، بعضها قريب من بعض. ومن معانيها: الحذق والفطنة وهي سرعة التعليم وأخذه، وفهمه، وبه يكون الضبط لما يتعلمه، والظفر به وإدراكه."ثَقِفْتُ العلم أو الصناعة في أوْحى مُدّةٍ إذا أسرعَتَ أخذَه، وغلامٌ ثَقِفٌ لَقِفٌ "[١] وفي حديث الهجرة: (... هو غلامٌ شابٌ لقنٌ ثقفٌ...)[٢] أي ذو فطنة وذكاء، والمراد أنه ثابت المعرفة بما يحتاج إليه."ومن المجاز: أدبه وثقفه. ولولا تثقيفُك وتوقيفُك لما كنت شيئا وهل تهذبتُ وتثقفتُ إلا على يدك"[٣] وكلمة (ثقف) في معجم المقاييس لأبي الحسن بمعنى:"الثاء والقاف والفاء كلمة واحدة إليها يرجع الفروع، وهو إقامة دَرْءِ الشيء. ويقال ثَقَّفْتُ القناة إذا أقمتَ عِوَجَها–وثَقِفتُ هذا الكلام من فلانٍ، ورجل ثَقِفٌ لقِفٌ، وذلك أن يصيب عِلَم ما يسمعُه على استواء"[٤].

(ثَقِفَ) – ثَقَفاً: صار حاذقاً فَطِناً.فهو ثَقِفٌ. والخَلُّ:اشتدت حُموضته فصار حريقا لذَاعاً، فهو تثقيف. والعلم والصناعةَ: حَذَقهما. والرجَل في الحرب: أدركه. والشيء: ظفر به"[٥] وجاءت هذه الكلمة في عدد من آيات القرآن الكريم، قال تعالى:﴿فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴾الأنفال: ٥٧ وقال تعالى:﴿فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثِقِفْتُمُوهُمْ﴾ النساء: ٩١ وقال تعالى:﴿وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ ﴾البقرة: ١٩١ وقال تعالى:﴿إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاء وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ ﴾ الممتحنة: ٢ ففي كل هذه الآيات ذُ كرت كلمة (ثقافة)، وهذا ما يُؤكد أنها من الكلمات العربية الأصيلة، لأنها مشتقة من الكلمة العربية (ثقف) التي وردت في آيات القرآن الكريم الذي نزل بلسان عربي فصيح.

و(ثقّف)الشيء: أقام المعوجّ منه وسواه. والإنسان أدّبه وهذبه وعَلمه.

و(تَثَقَّفَ): مطاوع ثقّفه، ويقال: تثقّف على فلان، وفى مدرسة كذا.

و(الثّقافة): العلومُ والمعارفُ والفنون التي يُطلب الحذق فيها "[٦].

ثقف: ثَقِفَ الشيءَ ثقفاً وثِقافاً وثُقُوفةً: حَذَقَه. ورجل ثَقفٌ وثَقِفٌ وثَقُفٌ: حاذِقٌ فَهِمٌ. وثَقُفَ الرجلُ ثقافةً أي صار حاذِقاً خفيفاً. وثقفتُ الشيءَ حذقتُه،وثقفتُه إذا ظفرت به"[٧] قال تعالى:﴿فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾الأنفال: ٥٧ وأحياناً تأتي كلمة ثقافة من باب:(ظرُف)، ثَقُف الرجل من باب: ظرُف صار حاذقاً خفيفاً فهو (ثَقفٌ مثل ضخمٌ ومنه المثاقفة). و(الثِقاف) ما تُسوَىَّ به الرماح و(تثقيفُها) تسويتُها"[٨] ومن خلال المعاني اللغوية لكلمة ثقافة يتضح جلياً أن الثقافة هي: التي تُعلم النفس البشرية وتعمل على إصلاحها وتقويمها، حيث إنها تأخذ بأسباب المعرفة وطريقة إجادتِها.

**ثانياً: الثقافة في الاصطلاح:**

كلمة ثقافة من الكلمات ذات الأبعاد الكبيرة، والدلالات الواسعة، وهي من ضمن المصطلحات التي تجري على الألسن كالمدنية، والتربية...، ولم تكن هذه الكلمة شائعة الاستعمال إلا حديثاً، ولم يكن هنالك عِلم مستقل يسمى الثقافة، لذلك لم يوجد تعريف اصطلاحي محدد ومتفق عليه، لذا كثرت وتعددت أراء المختصين في تعريفهم للثقافة، فمنهم من قال بأنها عبقرية الشعب، فعرفها في صورتها الحية، بأنها تعني:"وحدة ذات أجزاء متماسكة ومترابطة فيما بينها بروابط داخلية تحدها عبقرية الشعب الذي وضعها مطابقة لأخلاقه وأذواقه وتاريخه"[٩] ففي الغرب تعرف الثقافة بأنها تراث الإنسانيات الإغريقية اللاتينية فلذلك يأتي معنى الثقافة على رأيهم بأنها: فلسفة الإنسان"[١٠] لأنها ذات علاقة وظيفية بالإنسان. وبما أنها ذات علاقة بالإنسان كفرد، أيضاً لها علاقة وظيفية بالجماعة، كما عرفها (يادانوف) بأنها:"فلسفة المجتمع"[١١] وهذا يدل بأن الثقافة نظرية في السلوك، أكثر من أنها نظرية في المعرفة.

أما معنى الثقافة في التاريخ ذكرها مالك بن نبي في كتابه مشكلة الحضارة حينما قال: "لا يمكن أن نتصور تاريخاً بلا ثقافة، فالشعب الذي فقد ثقافته قد فقد حتماً تاريخه، لذلك هي: ليست علماً يتعلمه الإنسان، بل هي محيط يحيط به، وإطار يتحرك داخله، فهي الوسط الذي تتكون فيه جميع خصائص المجتمع المتحضر، و تتشكل فيه كل جزئية من جزئياته، تبعاً للغاية العليا التي رسمها المجتمع لنفسه، بما في ذلك الحَدَّاد، والفنان، والراعي، والعالم، والإمام، وهكذا يتركب التاريخ"(١٢) وهذا التعريف كما يرى الباحث شمل تعريف الغرب، والتعريف الذي ذكره (يادانوف) بأن الثقافة فلسفة الإنسان، والمجتمع، فالمجتمع يشكل الثقافة، والإنسان يتشكل داخل هذا المحيط تبعاً للغاية العليا التي رسمها المجتمع لنفسه.

أما علماء التربية قالوا إن الثقافة هي:"مجموعة الأفكار والمُثُل والمعتقدات والعادات والتقاليد والمهارات وطرق التفكير ووسائل الاتصال والانتقال وطبيعة المؤسسات الاجتماعية في المجتمع الواحد"(١٣) فالمجتمع الواحد هو رمزٌ لإطار حياةٍ واحدةٍ تجمع ما بين راعي الأغنام، والعالم في مقتضيات مشتركة.

ففي اللغات الأجنبية، تعني كلمة ثقافة (Culture). في معناها المادي بأنها:"فلاحة الأرض وتنمية محصولاتها – وهذه الكلمة عندما توسعت في اللغات الإنجليزية والفرنسية والألمانية شملت في معناها المعنوي تنمية العقل والذوق والأدب، حتى أصبحت عند فلاسفة العصور الحديثة تعنى: مجموعة عناصر الحياة وأشكالها ومظاهرها في مجتمع من المجتمعات"(١٤) والحضارة الأُوربية هي حضارة الزراعة، والإنسان الأُوربي عامة هو إنسان الأرض، لذلك كان من الضروري بأن كلما يستنتج من الأرض في مجال الزراعة له أثر مهم في نفسية الإنسان الأُوربي، كما له إسهام في صياغة رموز حضارته، وبما أن الثقافة ثمرة من ثمار عصر النهضة الأُوربية حينما أصبحت معنوياً تشمل تنمية العقل والذوق والأدب، فهذا يتوافق مع كلام مالك بن نبي عن عصر النهضة الأُوربية في القرن السادس عشر

الذي رمز لها في كتابه مشكلة الثقافة بأنها:"انبثاق مجموعة من الأعمال الأدبية الجليلة في الفن وفى الأدب وفى الفكر"[١٥]. هنالك تعريفٌ جامع ومانع للثقافة، للأُستاذ الدكتور محمد زين الهادي العرمابي، يقول فيه:"هي الإلمام الواسع العام عن طريق البحث، والتنقيب في مجموعة كبيرة من العلوم، والفنون والمعارف النظرية ذات الدلالة، والخبرة التي تُكتسب عن طريق الحواس لصقل الموهبة وتنقية الفطرة وتهذيبها، ليكتسب الإنسان الرُقي والتقدم للظفر بمعاني الخير والعدل"[١٦] فالعَرَمَابي تعريفه للثقافة جاء معبراً عن المعارف الكثيرة، والعلم الواسع العام بالتنوع في المعرفة لاشتمال الثقافة لكل العلوم والفنون، وأيضاً ربط تهذيب النفس بتنقية الفطرة وتنمية المواهب، وهذا يتفق مع تعريفها في المعاجم اللغوية، بأنها (تهذيب، ورُقي، وظفر) هذا ما جعل التعريف مانعاً وجامعاً. وعرفها محمد الجوهري بأنها:"أساليب الحياة الشائعة لدى جماعة أو مجتمع معين، والتي تظهر في أقوال الناس وتصرفاتهم أو عاداتهم خلال حياتهم الجمعية"[١٧]. وعندما يقول الجوهري بأن الثقافة، أساليب حياة كأنما يقصد الأسلوب المشترك لمجتمع بأكمله من علمائه إلى فلاحيه، وعندما يذكر بأنها أساليب الحياة الشائعة لدى جماعة أو مجتمع، نجده يتفق مع تعريف مالك بن نبي العملي للثقافة، الذي يقول فيه بأنها:"مجموعة من الصفات الخلقية والقيم الاجتماعية، التي تؤثر في الفرد منذ ولادته، وتصبح لا شعورياً العلاقة التي تربط سلوكه بأسلوب الحياة في الوسط الذي ولد فيه"[١٨] وحديث النبي صلى الله عليه وسلم الذي يتحدث عن أن القيم الاجتماعية لدى أي جماعة هي التي تؤثر في تشكيل الفرد، أو المولود الذي يولد على الفطرة، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (كلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجِّسَانِهِ)[١٩] هذا ما جعل التعريف قوياً، ومتوافقاً مع المقولة التي تقول: إن الإنسان ابن بيئته، ولو قارنا مابين تعريف مالك بن نبي للثقافة الإسلامية – بأن القيم هي التي تشكل الفرد وتؤثر فيه، و التعريف الآخر: بأن الثقافة أساليب تظهر في أقوال الناس

وتصرفاتهم، وأخذنا بحديث النبي صلى الله عليه وسلم: (فأبواه يهودانه...) لوجدنا أن الثقافة عبارة عن المحيط الذي تتشكل فيه طِباع وشخصية الفرد،لأن هذا المحيط صورة مألوفة يستأ نسها منذ مهده، وهذا يعكس حضارةً معينةٍ لدخوله في مقومات الإنسان ومقومات المجتمع. وبما أن هذه الثقافة مصطلح كثير التعريفات، واختلفت وجهات نظر العلماء والمفكرين فيها، ولكن وبالتمعن والنظر في تلك التعريفات المذكورة والمختلفة يرى الباحث وجود بعض الأسس لمفهوم الثقافة التي تتمثل في الآتي:

١/ القيم والمبادئ المنبثقة عن العقيدة والفكر وهي بمثابة الأساس للثقافة.

٢/ الثقافة هي التي تصوغ شخصية الفرد متمثلة في سلوكه، وهي التي تشكل هِوية الأمة.

٣/ الثقافة إجمالاً تشتمل على الجوانب المعنوية كالفنون والآداب والمبتكرات.

٤/ هي التي تنقل القيم والمبادئ من الفكر إلى العمل. وإذا كانت هذه الأُسس لمفهوم الثقافة من خلال التعريف اللغوي والاصطلاحي المتعدد، إذاً عندما يُقال: أنها: تهذيب وتقويم الإنسان؛ هذا يُصبح بمثابة الميزان لكل عمل يُدعى صاحبه بأنه داخل في منظومة الثقافة !! لأنها أصبحت كالقالب الذي توزن فيه الأعمال الثقافية؛ فما كان مُهذِباً ومُقوِماً ومُحذِقا لمن توجه إليه هذه الأعمال فهو ثقافة، وإلاَّ فلا؛ لأن الآن أصحاب الفن والغناء الهابط مثلاً، يطلقون عليه ثقافة، وأيضاً هذه الكلمة تطلق على كثيرٍ مما ليس فيه تهذيب وتقويم.

**ثالثاً: الثقافة في الاصطلاح الإسلامي:**

التعريف الاصطلاحي للثقافة الإسلامية لا يبعد كثيراً عن التعريف العام للثقافة، وهذا المصطلح لم يكن معروفاً لدى المسلمين ولم يتداول بمعناه الشائع،إلا بعد الاتصال بالثقافات والحضارات الأُخرى، والثقافة الإسلامية مبنية على العقيدة الإسلامية الصحيحة، لذلك كثرت تعاريفها الاصطلاحية، فمنهم من قال بأنها: التراث الحضاري، ومنهم من وصفها بمقومات الأُمة الإسلامية، وهناك من رمز لها بأنها معرفة مستمدة من مصادر الإسلام، وآخرون عرفوها بأنها تحقيق الأهداف

التي دعا إليها الإسلام... الخ. وكل هذه التعريفات ما هي إلاَّ اجتهادات من بعض العلماء والمفكرين، الإسلاميين، ومنهم من يرى حياة الأُمة الإسلامية أساساً يدور عليه التعريف، وبهذا تكون الثقافة الإسلامية عندهم مرادفة للدراسات الإسلامية، أو العلوم الإسلامية، وهؤلاءِ هم الذين عرفوها تعريفا عاماً بأنها:"معرفة مقومات الأمة الإسلامية العامة بتفاعلاتها في الماضي والحاضر من دين ولغة وتاريخ وحضارة وقيم وأهداف مشتركة بصورة واعية هادفة"[٢٠] وهنالك مجموعة أُخرى من العلماء ترى أن الثقافة الإسلامية علمٌ جديدٌ له موضوعاته الخاصة التي تميزه عن غيره من العلوم الإسلامية، وهؤلاء يعرفونها بأنها:"معرفة التحديات المعاصرة المتعلقة بمقومات الأُمة الإسلامية، ومقومات الدين الإسلامي"[٢١] وهذا التعريف يجعل الثقافة الإسلامية علماً مستقلاً مميزاً عن غيره من العلوم الإسلامية الأُخرى، حتى يتثنى لها أن تقوم بالتوجيه السياسي والاقتصادي والاجتماعي، والتربوي والصحي، والعلمي لبناء الأُمة الإسلامية. فلذلك هي عبارة عن الموجه لحياة الأمة المسلمة. وجاء تعريف الثقافة الإسلامية عند العرمابي بأنها:"الحياة العملية والعلمية والمعرفية والسلوكية التي يعيشها المسلمون وِفقاً للإسلام وتصوراته"[٢٢] ويوجد تقارب ما بين التعريف السابق، وتعريف العرمابى، الذي يصورها حركة عملية علمية لحياة المسلم حتى يقوم بتطبيق ما جاء به الإسلام، متداولاً في ذلك العلم المستمدة جذوره من القرآن الكريم والسنة النبوية، حتى تظهر هذه الثمرة لتكن سلوك للمسلم، والتعريف الآخر عندما يقول: بتفاعلاتها في الماضي والحاضر، نجد أن هذا التفاعل لا يتم إلا بالعلم والعمل الذي من لوازمه الحركة، فالعلم والعمل والحركة موضع الاتفاق ما بين التعريفين، وهنالك تعريفٌ آخر للثقافة الإسلامية يتفق مع هذين التعريفين في انعكاس الاستفادة من التجارب المنبثقة عن تلك المعرفة على حياة المسلم وسلوكه في المجتمع، والتعريف يقول إنها:"المعرفة المستمدة من مصادر الإسلام وأصوله،وما خلفه المسلمون من تراث، وما أستفادوه من التجارب الإنسانية، وما ينبثق عن تلك المعرفة من قيم سلوكية، تنعكس على حياة المسلم، وقيم معرفية تمكنه من مواجهة التحديات المعاصرة"[٢٣] إذاً هي: حركة المسلم في هذه الحياة عملاً وعلماً ومعرفةً وسلوكاً، وِفقاً للدين الإسلامي وتصوراته الكاملة للحياة بكل

أنماطها، منسوبة للإسلام، والحياة المنسوبة للإسلام هي: ربانية، لأنها موافقة للشريعة الإسلامية التي تُقاس عليها أفعال المسلم. ويرى الباحث أن الثقافة الإسلامية هي: العمل والحركة لمعرفة مقومات الدين الإسلامي في الماضي والحاضر، ومعرفة التحديات والتيارات الفكرية المعاصرة.ومن خلال هذه التعريفات الإسلامية للثقافة يخلص الباحث إلى أنها سلوك واحد يجب أن يتصف به الرئيس والمرؤوس، لأن جذور شخصيتهما تغور في أرضٍ واحدة، وهي المجال الروحي للثقافة الإسلامية، وهذا ما كان سائداً في بداية ميلاد المجتمع الإسلامي الذي تخرج في مدرسة النبي صلى الله عليه وسلم، حيث يتحد طابع هذه الثقافة لدى الخليفة والبدوي، وهذا واضحٌ عندما ألقى سيدنا عمر ابن الخطاب خطبته عند توليه الخلافة، فقال قولته المشورة: "أيها الناس من رأى منكم فيَّ اعوجاجا فليقومه... فالرد ما نطق به أحد البدو البسطاء:"والله لو رأينا فيك اعوجاجا لقومناه بسيوفنا"(٢٤) فالخليفة في هذه المقولة كان متجهاً صوب مجتمع متغذي بالثقافة الإسلامية وجاء الرد من هذا المجتمع على لسان أحد البدو. فمعنى هذا أن الخليفة والبدوي بصورةٍ واحدةٍ لأنهما ينتميان إلى الثقافة الإسلامية هذا ما يجعلها تربط الأفراد بعضهم ببعض، كما جاء في قول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً مَّا أَلَّفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ الأنفال:٦٣

## المبحث الثاني

## الربانيـة

المقصود بكون الثقافة الإسلامية ربانية بأن كلما فيها من تصورات للوجود ومقومات الحياة مستمدة من القرآن الكريم والسنة النبوية، الذي تنهل من معينه، حيث نجد الأصل في مصدرها يعتمد على الوحي الإلهي، والأصول والقواعد الكلية التي جاء بها الإسلام،قال تعالى:﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى* إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾النجم: ٣، ٤.

ومن أعظم مزايا الربانية أن الوحي الإلهي وضع أصلها وحدد معالمها، قال تعالى: ﴿تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾الواقعة: ٨٠، فلذلك نجدها ربانية المصدر باعتبارها جزء من حيث يقول الله تعالى: ﴿...وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾النحل: ٨٩ وهي تتصف بصفة الربانية التي في المنهج، قال تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ يوسف: ١٠٨ وهي الوحيدة من بين الثقافات التي ترجع في مصدرها لله وحده، عكس الثقافة الغربية التي تستمد مصدرها من الفكر الفلسفي اليوناني والقانون الروماني والنصرانية المحرفة أو الفلسفة الوضعية. فلذلك نجدها ربانية وهي: نسبةً للرب سبحانه وتعالى، لأنها تستمد أصولها وروافدها من مصدر ثابت وهو القرآن الكريم."وهذا أصدق ما يوصف به نمط حياة الأُمة الإسلامية – أنه صبغة إلهية، فأنماط الحياة عند غير المسلمين تحددها العادات والتقاليد والنظريات والمناهج التي يضعها مفكروها وعباقرتها، وتنفرد الأُمة دون غيرها بنمط إلهي، أصدق ما يُقال فيه إنه صبغة إلهية"[٢٥] قال تعالى: ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدونَ ﴾البقرة: ١٣٨. وربانيتها تجعلها تنطلق من منطلق إيماني، وهذا تميز لأن مدرج القيم وأولويات المعايير وترتيب المصالح ينبع من مراقبة الله والإيمان باليوم الآخر. والذي جعل الثقافة الإسلامية تتميز بخاصية الربانية"أن تصورها للوجود بكل خصائصه، ومقوماته مستمد من الله، تلقاه الإنسان كاملاً بخصائصه هذه ليتكيف به ويطبق مقتضياته في حياته، ويعني هذا

أن المسلم يعتقد أن الله الذي خلق هذا الكون هو الذي خلق الإنسان، وكلما في هذا الوجود يسير على سنة الله مسخراً لصالح الإنسانية، قال تعالى:﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾الجاثية: ١٣. إن

جميع معالم الثقافة الإسلامية منبثقة من تعاليم الإسلام ومتأثرة بها، لأنها مبنية على أساس من الإيمان بالله بغايات الأشياء وأصولها،وهذا ما يميزها عن الثقافات المادية التي لا تهتم إلا بأسبابها ومظاهرها.فالله سبحانه وتعالى لم يخلق الإنسان عبثاً بلا هدف وغاية، قال تعالى:﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾المؤمنون: ١١٥.

ورسالة البشر عموماً في هذه الأرض هي العبودية لله، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ الذاريات: ٥٦ وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ ﴾ فاطر: ٥ "فالله أنزل الدين وبين فيه الحال التي ينبغي أن يكون عليها المسلم في الأحوال الظاهرة والباطنة، كما بين الهدف من وراءِ هذه الحياة، وأوضح الأسلوب الذي تنتهجه الأُمة الإسلامية في حياتها،وقد سماه القرآن الكريم الصراط المستقيم، وشرع لنا أن ندعوه ليهدينا إليه في كل ركعة ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾الفاتحة: ٦ لأنه مخالف لطريق اليهود والنصارى والمشركين في القديم والحديث"[٢٦] ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾الفاتحة: ٧ فلذلك نجد أن ربانية الثقافة الإسلامية تحقق الإشباع لكل حاجات وأشواق الإنسان، إذا ربط وجوده بها، لأنها صادرة عن خالق الإنسان الذي يعلم من خلق، وهذا ما يجعلها تنمي وترعى من قدرة الإنسان الإبداعية، لأنها تطلق كل طاقاته من عُقالها في إطار من الضبط والتنظيم.هذا الذي جعلها أمام الظروف الإنسانية لا خلفها. وطالما أن الربانية كلام الله تعالى وهو القرآن الذي يهدي للتي هي أقوم نجد أن هذا لا يتنافى مع التقدم والرقي الذي لا ينافي التمسك بالدين، لأن

ما خيله أعداء الدين لضعاف العقول ممن ينتمي للإسلام من أن التقدم لا يمكن إلاّ بالانسلاخ من دين الإسلام باطل لا أساس له، فالقرآن يدعو إلى التقدم في جميع الميادين التي لها أهمية في دنيا أو دين، ولكن ذلك التقدم في حدود الشريعة الإسلامية، قال تعالى : ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴾ [الأنفال: ٦٠]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ (١٠) أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾سبأ: ١٠، ١١ فقوله تعالى: (أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ) يدل على الاستعداد لمكافحة العدو، وقوله تعالى: (وَاعْمَلُوا صَالِحًا) يدل على الاستعداد في حدود الدين الحنيف، (وَأَعِدُّوا) أمر جازم بمسايرة التطور في الأمور الدينية"[٢٧].

## المبحث الثاني

## الإيجابية

تمتاز الثقافة الإسلامية بخاصية الإيجابية التي هي من إحدى السمات البارزة في ثقافة الأمة الإسلامية، فالإسلام يأمر أتباعه بالسعي في الأرض وأعمارها وهذا تمثل في اختيار الإنسان خليفةً في الأرض، وهذه الخلافة تحتم عليه أن تكون له علاقة بربه، وعلاقته بربه تجعل له علاقة بما حوله، كعلاقته بالكون والحياة، وعلاقته بالآخرين، وهذه تعتبر إيجابية تمتاز بها الثقافة الإسلامية دون غيرها من الثقافات الأُخرى. لذلك نجد إنسان الثقافة الإسلامية غير سلبي، إنما هو إيجابي، لأن الإنسان السلبي هو الذي يعيش بعيداً عن أحداث الحياة، وبعيداً عن قضاياها، أما إيجابية المسلم فتظهر في علاقته بالآخرين، قال تعالى:﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾المائدة: ٢ وأيضاً اهتمامه بأمر المسلمين من حوله كما ذكر النبي صلى الله عليه وسلم حينما قال: ﴿ مَنْ لا يَهْتَمُّ بِأَمْرِ الْمُسْلِمِينَ فَلَيْسَ مِنْهُمْ ﴾[٢٨] والثقافة الإسلامية تجعل المسلم دائماً نفسه ترنو بأن يرى راية الإسلام عاليةً خفاقةً. فإذا كانت الثقافة الغربية تقول:لا تؤذي غيرك، لا تؤذي جارك، لا ترمي الأذى في الطريق، في نفس الوقت نجد أن الثقافة الإسلامية تقول: مثل ذلك بل تضيف إليه أحسن إلى غيرك، أحسن إلى جارك، أمط الأذى عن الطريق، وهذا درجة من درجات الإسلام الذي ذكره النبي صلى الله عليه وسلم: (الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيمَانِ)[٢٩] وكل هذه القيم التي تدعو لها الثقافة الإسلامية تدخل في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ النحل: ٩٠ وإيجابية الثقافة الإسلامية في أنها تحرر المسلم من التبعية، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا يَكُونُ أَحَدُكُمْ إِمَّعَةً...)[٣٠] وهذه التبعية التي نهى عنها النبي صلى الله عليه وسلم، واستنكرها على سلوك المسلم نجدها الآن سائدة في كثير من تقاليد الناس وأعرافهم، وحتى في أمثالهم، التي يتداولونها أحياناً، كما في المثل السوداني المشهور"الموت وسط الجماعة عرس"ويرى الباحث أن أي تبعية

عمياء، بدون توطين، وتحري أياً كان نوعها تعتبر سلبية للمسلم. فإيجابية الثقافة الإسلامية تظهر في أتساع آفاقها حينما نجدها تدعوهم إلى القوة والعزة، والاستعلاء بعقيدتهم ومنهجهم، والثقة بدينهم وبربهم، والانطلاق في الأرض كلها لتحرير الإنسان وإخراجه من عبودية العباد إلى عبودية الله وحده، وتحقيق إنسانيته العليا التي وهبها له الله تعالى فاستلبها منه الطغاة، وهذا ما عبر عنه ربعي بن عامر مع الحضارة الفارسية حيث بين لهم الهدف الذي جاءوا من أجله، حينما حدثهم عن الإسلام الذي جاء لإخراج الناس من عبادة البشر إلى عبادة الله وحده، ولذلك قال ربعي بن عامر – رضي الله عنه – لرستم قائد جيش الفرس:"إن الله ابتعثنا، والله جاء بنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام..."[٣١] هذا غير الثقافات الإنسانية التي تعتبر ضيقة يعيش أفرادها في إطار ضيق في هذه الحياة الدنيا. والبشر عندهم قوانين وعادات وأعرافهم تحكمهم وتسري فيهم العقائد الضالة المنحرفة كما في الثقافة الغربية التي تعتمد في مصادرها على النصرانية المحرفة، فلذلك يصبح المنهج الذي يسيرون عليه خليط من الأفكار والمبادئ والعقائد والتصورات، وهذه قد تتضارب فيما بينها، لأن هذه طبيعة المبادئ الأرضية، وفي هذا قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾ النساء: ٨٢ وكل هذا يشكل ضيق في الأفق ويحجر على الفكر، ويجعل العباد يعيشون في دائرة ضيقة تُقيد أعمالهم، وهو ضلال في الآخرة سرعان ما يحول الحياة إلى شقاء قال تعالى:﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ طه: ١٢٤ وكل هذا سببه ضيق الأفق. وإذا ما نظرنا للنظرية الضالة التي لا تؤمن بخالق الكون، بل تؤمن بأزلية المادة لوجدنا هذه النظرية الفاسدة والتي تعرف بصراع الطبقات وهي الشيوعية،التي جعلت الإنسان محكوماً للمادة تسيره وتوجهه، هذا ما جعل المبدأ يضيق عندهم أكثر عما كان يعيشه العابد للوثن، والساجد

للصنم، والزاعم أن عيسى ابن الله! تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً. فهؤلاء بأعراضهم عن هدي السماء يكونون قد قتلوا أشواق الروح، وقطعوا الصلة بين النفس وخالقها فجفت فيها ينابيع المودة والمحبة والطمأنينة. أما في الإسلام فأن حياة المسلم تدور حول محور الإيمان بالله رباً واحداً لا شريك له، ولذلك نجد أن إيجابية الثقافة الإسلامية تُشبع حاجات الإنسان المادية والمعنوية في الحياة الدنيا فالعبادات الشعائرية، وقراءة القرآن الكريم تهذب النفس البشرية وتخلصها من الشُح وعبادة الشهوات، وتزكي الروح وترتقي بها في عالم الإيمان، وأحكام الأطعمة والأشربة والجهاد في سبيل الله تعالى والاقتصاد، وما أشبهها تنمي جسد الإنسان وتغطي حاجاته المادية، وتضبطها بالضابط الشرعي. وأيضاً تظهر إيجابيتها في أنها تكافلية تهتم بمعنى العطاء قبل الأخذ، هذا ما لا يتوفر في غيرها من الثقافات التي تهتم بالأخذ دون العطاء. فالتكافل الذي يُعد من إيجابيات الثقافة الإسلامية نجده في الأنظمة الحديثة تكافل مادي لا يتناول إلا الحاجيات المادية، حيث تضمن هذه المجتمعات نوعاً من الضمان لأفرادها إذا تعرضت لإحدى المعوقات؛ بينما التكافل في الثقافة الإسلامية يتجاوز الصورة المادية إلى صورة أرحب وأوسع من التعاون على ضمان المصلحة الفردية والعامة، وفي هذا يقول تعالى:﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾المائدة: ٢ ولذلك نجد أن التكافل في الثقافة الغربية لا يشمل إلا حلقة الفرد والجماعة، بينما في الثقافة الإسلامية يشمل سائر الدوائر والحلقات، فهناك تكافل بين الفرد وذاته وبين الفرد وأسرته القريبة، وبين الفرد والجماعة، وبين الأمة والأمم، وبين الجيل والأجيال المتعاقبة؛ ويبدو تكافل الفرد مع ذاته في تطهير النفس وتزكيتها ونهيها عن الشهوات، أما تكافل الفرد مع أسرته فهي الدائرة الأولى التي يبني عليها كيان المجتمع، ويعيش الفرد في كنفها وحمايتها، وقد أكد الإسلام على ضرورة تمتين أواصر العلاقات بين أفراد الأسرة فأقام فيها تضامناً مادياً ومعنوياً على أساس وثيق من المودة والتراحم، قال تعالى:﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ

بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾ لقمان: ١٤ وقال تعالى:﴿ النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَى أَوْلِيَائِكُمْ مَعْرُوفًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا﴾الأحزاب: ٦ والإسلام شرع نظامين عظيمين ليضمن حداً معيناً من التكافل بين أفراد الأسرة هما:نظام الإرث، ونظام النفقة. وأيضاً هناك تكافل بين الفرد والجماعة يقوم على تشريع الزكاة فهي الوسيلة الوحيدة لتحقيق العدالة الاجتماعية في الإسلام وقد جعلها الله تعالى ركناً من أركان الدين وفرضها في أموال القادرين، ولأهميتها قرنت بالصلاة في معظم الآيات، والثقافة الإسلامية تضيف في هذا الجانب إلى التشريع إثارة الضمير الإنساني، وتوجيه الوجدان وإحياء الشعور بالواجب، فيُرغب الناس ويأمرهم بالتبرع والإنفاق بطرق كثيرة.وأيضاً تظهر إيجابية الثقافة الإسلامية في كل جانب من جوانبها، فهي تلزم الإنسان بالعمل حسب طاقته وإمكاناته ومواهبه، وتحذره بشدة من التواكل والتخاذل والتكاسل قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ﴾ الرعد: ١١ والرسول صلى الله عليه وسلم أكد على مبدأ العمل إلى آخر لحظة في الحياة: (إِنْ قَامَتْ عَلَى أَحَدِكُمُ الْقِيَامَةُ، وَفِي يَدِهِ فَسِيلَةٌ فَلْيَغْرِسْهَا)[٣٢] وهذا إرشاد من النبي صلى الله عليه وسلم لإيجابية العمل الذي هو خير من سؤال الآخرين، والله تعالى يقول: ﴿ لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ النساء: ٩٥ فلذلك من إيجابية الثقافة الإسلامية أنها ترتقي بالإنسان حيث لا ترضى أن يكون كسولاً يعيش على هامش الحياة دون أن يؤثر في الكون أو المحيط الذي حوله، بل لا بد أن يؤثر في الناس.إذاً لابد للمسلم أن يتصف بإيجابية الثقافة الإسلامية حتى يتحقق له وعد الله سبحانه وتعالى الذي وعده إياه، قال

تعالى:﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾الحجرات: ١٥. قال تعالى:﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ النور: ٥٥. هذه الآيات تبين سمة الإيجابية التي ينبغي أن يكون عليها المسلم.فعلى المسلم أن يبرز ما اتصفت به الثقافة الإسلامية في واقع الحياة سلوكاً وقولاً، صيانةً للحقوق حتى تعطي المحروم وتأخذ على يد الظالم، وتمنع الطغيان، حتى يسود العدل بين الناس، وهذا سيساعد على نشر الثقافة الإسلامية بين الأُمم المختلفة. ولا يتحقق هذا إلا أن تكون إيجابية الثقافة الإسلامية فاعلة، تجعل المسلم صالحاً في نفسه مصلحاً لغيره في المجتمع من حوله، لأن الإسلام يأُمر بالسعي في الأرض وأعمارها، وينهي عن خرابها بأن لا يُفسد فيها، وهذا جاء في قول الله سبحانه وتعالى:﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْراً لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾آل عمران: ١١٠. وتعاون المسلم مع غيره بالبر والتقوى واحدة من إيجابية الثقافة الإسلامية، لأن هذا ما أمر الله به المسلم، قال تعالى: ﴿...وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ...﴾المائدة: ٢. وأيضاً تظهر إيجابية الثقافة الإسلامية في عدم إيذاء الآخرين، والإحسان إليهم، قال تعالى:﴿إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ النحل: ٩٠، وأنها تحدد دور الفرد والمؤسسة والأسرة والمجتمع والدولة في حراسة الهوية، وتربط ذلك بمعطيات التاريخ الإسلامي،هذا ما يجعلها تجعل المسلم محيطاً بكل جوانب الحياة من حوله غير معتكف على نفسه، مهتم بغيره ومحترم لحقوقهم. فلذلك نجد ما

تقدمه خاصية إيجابية الثقافة الإسلامية في رُقي الإنسان يتمثل في اهتمامها بالقيم الإنسانية.

ويرى الباحث وجود فوائد عدة لخاصية الإيجابية تتمثل في:

أ- إحساس المسلم بمسؤوليته، ومكانته، وبأهمية خلقه في هذه الحياة الدنيا، قال تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾المؤمنون: ١١٥. فهذا حافز للمسلم على العمل الإيجابي المستمر في ذات نفسه ومع الآخرين حوله.

ب- تُحقق غاية عظمى هي: مرضاة الله تعالى وذلك من خلال وجود الإنسان في هذه الحياة الدنيا، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ الذاريات: ٥٦. وهذا يجعل المسلم يتقن عمله ويجوده ويخلص فيه، ويبتغي به وجه الله تعالى، و الرسول صلى الله عليه وسلم يقول: (... وإن العبد إذا عمل عملاً أحب اللهُ أن يتقنه)(٣٣).

ج- إشعار المسلم بفخامة مسؤوليته وأهميته في الحياة وأحداثها ووقائعها،وأنه لم يخلق عبثا قال تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٥] وأن يشعر المسلم أن وجوده فوق الأرض يستوجب عملاً إيجابياً مستمراً مع ذاته والآخرين.

د- إعلاء شأن المسلم ورفع قيمته في نظر نفسه والآخرين والرفع من اهتماماته وغاياته وأهدافه، وبذلك يأبى أن يزاحم الناس من أجل مطالب قريبة، أو يقاتلهم حرصاً على منافع شخصية، وهذا رُقي الإنسان. وأيضاً كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحث أصحابه على الإخلاص في العمل: (أَخْلِصْ دِينَكَ يَكْفِيكَ الْقَلِيلُ مِنَ الْعَمَلِ)(٣٤).

## المبحث الثالث

## الشمول

لما كانت الثقافة الإسلامية ربانية المصدر، كانت ولا بد أن تكون دعوة شاملة لكل مناحي الحياة، منظمة لعلاقة الإنسان بربه من الناحيتين العلمية والعملية، فلذلك

الشمول هو النظرة الشاملة دون تجزئة للكون والحياة، وهذه المفاهيم نجدها ترتكز على القيم الإنسانية وتصونها."يُراد بشمول الثقافة الإسلامية أنها ثقافة تستوعِب كل جوانب الحياة، وتدخل في كل مجالاتها، وذلك لأنها تستمد مقوماتها وخصائصها من الإسلام، الدين الشامل الذي جاءَ مستجيباً لحاجات الإنسان جميعها، ومنظِماً لكل شئون البشر، فربي الفرد، ونظم المجتمع، ووحد الأُمة، وأقام الدولة، وضبط حركة الإنسان في مجال الاقتصاد، والسياسة، والاجتماع، والأخلاق، ومن ثم فمن الطبيعي أن تكون الثقافة المنبثقة منه شامله لكل ما يحتاجه الإنسان عن الله وحقيقته، والكون وطبيعته، والإنسان وهويته، وكيفية تعامل الإنسان مع خالقه، ومع الكون من حوله، ومع أخيه الإنسان"[٣٥] ويتمثل هذا الشمول في الآتي:

**العقيدة:** التي تعطي المسلم تصوراً كاملا عن الإنسان والكون والحياة، كما تعطي تفسيرا للقضايا الكبرى التي شغلت الفكر الإنساني ولا تزال تشغله، فالإنسان كان وما زال يتساءل عن أصله ونشأته ومصيره ونهايته وعلاقته بخالقه ودوره في هذا الوجود، والعوالم الخفية المستورة وراء هذا الكون المشهود. فالدين الإسلامي منهج حياة كاملة لا مجرد عقيدة مستترة، فهو منهج واقعي تنمو الحياة في ظله وتترقى، فهو دعوة إلى الحياة في كل صورها وأشكالها وفي كل مجالاتها ودلالاتها، والتعبير القرآني يحمل هذا كله في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾الأنفال: ٢٤ وإحاطة الشريعة بالإنسان تتمثل في أنها: تصاحبه طفلا وشابا وشيخا، بل أنها تعنى به قبل ميلاده وبعد وفاته، فهناك أحكام الجنين، وأحكام تتعلق بالموتى من غسيل وتكفين وصلاة وقسمة ميراث، هذه كلها أحاطت بها الشريعة الإسلامية أحاطه كاملة شاملة، والشريعة كما عنيت بالفرد عنيت بالمجتمع في كل المجالات التي تهمه اجتماعية كانت أو سياسية أو اقتصادية، فلذلك نجد أن الشريعة قانون كامل يضم في أطوائه كل القوانين التي سماها البشر بأسماء مختلفة. فإحاطة

الشريعة بالإنسان تجعل الثقافة الإسلامية تدعو إلى شريعة الله التي تحرر الإنسان وتكرمه، وتجعل البشر كلهم صفاً واحداً لا يتحكم فرد في شعب، ولا طبقة في أمة، ولا جنس في جنس، ولا قوم في قوم بل كلهم أحراراً متساوين في ظل شريعة من عند الله تعالى رب العباد.والدين الإسلامي هو النظام الإلهي الذي ختم الله به الشرائع، وجعله نظاماً كاملاً شاملاً لجميع نواحي الحياة، قال تعالى:﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾الأنعام: ٣٨. وهذه كله إسهام الثقافة الإسلامية من خلال خاصية الشمول في تناول كل مناحي العبادات والمعاملات والاجتماع والاقتصاد والإدارة والقضاء والحكم الداخلي والسياسة الخارجية، وهي بذلك تكون قد استوعبت كل جوانب الحياة المختلفة بكل مجالاتها، كما أنها أحاطت بالإنسان في جميع مراحل حياته المختلفة، وفي علاقاته المتعددة، واحتياجاته الروحية الداخلية، والمادية الخارجية، قال تعالى: ﴿... وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴾النحل: ٨٩

والمنهج الإسلامي جاء شاملاً لكل شي حتى تعليم الناس دخول الخلاء وهذا ما شهد به اليهود،عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ يَزِيدَ، قَالَ: قِيلَ لِسَلْمَانَ: قَدْ عَلَّمَكُمْ نَبِيُّكُمْ كُلَّ شَيْءٍ حَتَّى الْخِرَاءَةِ قَالَ: أَجَلْ (نَهَانَا أَنْ نَسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةَ بِغَائِطٍ أَوْ بِبَوْلٍ،أَوْ أَنْ نَسْتَنْجِيَ بِالْيَمِينِ، أَوْ أَنْ يَسْتَنْجِيَ أَحَدُنَا بِأَقَلَّ مِنْ ثَلَاثِ أَحْجَارٍ،أَوْ أَنْ يَسْتَنْجِي بِرَجِيعٍ أَوْ بِعَظْمٍ)[٣٦] وشمولها حتى مع الحيوان والإحسان إليه وعدم إيذائه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم– قَالَ: (بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِى بِطَرِيقٍ اشْتَدَّ عَلَيْهِ الْعَطَشُ فَوَجَدَ بِئْرًا فَنَزَلَ فِيهَا فَشَرِبَ ثُمَّ خَرَجَ فَإِذَا كَلْبٌ يَلْهَثُ يَأْكُلُ الثَّرَى مِنَ الْعَطَشِ فَقَالَ الرَّجُلُ لَقَدْ بَلَغَ هَذَا الْكَلْبَ مِنَ الْعَطَشِ مِثْلُ الَّذِى كَانَ بَلَغَ مِنِّى. فَنَزَلَ الْبِئْرَ فَمَلأَ خُفَّهُ مَاءً ثُمَّ أَمْسَكَهُ بِفِيهِ حَتَّى رَقِىَ فَسَقَى الْكَلْبَ فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ فَغَفَرَ لَهُ"قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَإِنّ َلَنَا فِى هَذِهِ الْبَهَائِمِ لأَجْرًا فَقَالَ"فِى كُلِّ كَبِدٍ رَطْبَةٍ أَجْرٌ)[٣٧].

وامرأة حبست هرة دخلت النار،أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ عُذِّبَتْ امْرَأَةٌ فِي هِرَّةٍ سَجَنَتْهَا حَتَّى مَاتَتْ فَدَخَلَتْ فِيهَا النَّارَ لَاهِيَ أَطْعَمَتْهَا وَلَا سَقَتْهَا إِذْ حَبَسَتْهَا وَلَاهِيَ تَرَكَتْهَا تَأْكُلُ مِنْ خَشَاشِ الْأَرْضِ)[٣٨] وأُمرنا بالإحسان حتى في عملية الذبح (إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شيءٍ فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذَّبْحَ وَلْيُحِدَّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ فَلْيُرِحْ ذَبِيحَتَهُ)[٣٩]، فلذلك نقول أن شمول الثقافة الإسلامية يتسم بالتناول الكلي للموضوع باعتباره وحدة مترابطة، سواءً كان هذا الموضوع قيمة أو نظاماً أو فكراً.وهذا الشمول هو الذي جعل للثقافة الإسلامية أثر في الحياة المعاصرة، حيث كان المسلمون في العصور المتأخرة قد حصروا بعض الإسلام في قضايا محدودة كالعبادات والحدود، ولا زال في يومنا هذا تجد من يحصر الإسلام في قضية واحدة كالذين يتحدثون فقط عن التوحيد، وأيضاً هناك من يتحدث عن الجهاد فقط، تاركين من خلفهم قضايا عديدة. فخاصية الشمول تدعوهم إلى منهج للحياة، ومنهج للفكر، ومنهج للتصور يطلقهم من كل قيد إلا ضوابط الفطرة المتمثلة في الضوابط التي وضعها خالق الإنسان العليم بما خلق.و الثقافة الإسلامية وضحت أن نظام الإسلام شامل، والعبادة في الإسلام كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية"اسم جامع لكلما يحبه الله تعالى ويرضاه من الأقوال والأفعال الظاهرة و الباطنة"[٤٠] لذلك يُعتبر الشمول بالنسبة للثقافة الإسلامية ميزة خاصة غير موجودة في الثقافات الأُخرى.وله ثمرات تتمثل في الآتي: إعطاء تفكير للقضايا الكبرى التي شغلت الفكر الإنساني، ولا تزال تشغله بحيث يشعر الإنسان بالطمأنينة من خلال معرفته ونشأته، ومصيره ونهايته، وعلاقته بخالقه، ودوره في هذا الوجود، فلا يبقى الإنسان حائراً ضعيفاً بدرب الحياة، بل يجد الملجأ والملاذ ويشعر بالطمأنينة والاستقرار.صيانة الإنسان من الاعتماد على التشريعات والأنظمة غير الإسلامية بحيث أن الإسلام أشتمل على كل التشريعات التي يحتاج إليها الإنسان في حياته الخاصة والعامة.

## المبحث الرابع

## العالمية

تميُزت الثقافة الإسلامية بخاصية العالمية التي تستمدها من عالمية الإسلام الذي جاء منادياً بأنه دين عالمي، لكافة الناس، بقيمه المثلى التي تصلح لكل زمان ومكان وتتصهر مع التصورات والأفكار الجديدة قال تعالى:﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ سبأ: ٢٨.

وقال تعالى: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾البقرة: ٨٣ وقال تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ التكوير:٢٧ وأيضاً نجد عالميتها تظهر في الحديث: عَنْ تَمِيمٍ الدَّارِيِّ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: (لَيَبْلُغَنَّ هَذَا الأَمْرُ مَا بَلَغَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ، وَلاَ يَتْرُكُ اللَّهُ بَيْتَ مَدَرٍ وَلاَ وَبَرٍ إِلاَّ أَدْخَلَهُ اللَّهُ هَذَا الدِّينَ، بِعِزِّ عَزِيزٍ أَوْ بِذُلِّ ذَلِيلٍ، عِزًّا يُعِزُّ اللَّهُ بِهِ الإِسْلاَمَ، وَذُلاًّ يُذِلُّ اللَّهُ بِهِ الْكُفْرَ)[٤١]، وقوله صلى الله عليه وسلم:(إِنَّ اللَّهَ زَوَى لِيَ الأَرْضَ فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا وَإِنَّ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مُلْكُهَا مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا...)[٤٢] ولما كانت هذه الثقافة شاملة لكل الناس، أيضاً نجد أن الرحمة التي جاء بها النبي صلى الله عليه وسلم شاملة لكل الناس قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ الأنبياء: ١٠٧، وهذه العالمية أكدها حديث النبي صلى الله عليه وسلم: (أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ قَبْلِي نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ وَجُعِلَتْ لِيَ الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا وَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أَدْرَكَتْهُ الصَّلَاةُ فَلْيُصَلِّ وَأُحِلَّتْ لِيَ الْغَنَائِمُ وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ)[٤٣] فلذلك تتمثل عالمية الثقافة الإسلامية في عالمية خاتم النبوة صلى الله عليه وسلم التي يمثلها الإسلام، والتي تمثلت في الإرادة الإلهية التي أخرجت الناس من الظلمات إلى النور قال تعالى: ﴿الر كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴾إبراهيم: ١ فهذه العالمية لا تتسم بالجبر ولا تعرف الإكراه لأنها تتفق مع الفكرة التي فطر الناس عليها وعالميتها في أنها إنسانية لا تفرض نفسها على الآخرين، بل تعرفهم وتعترف بهم، قال تعالى:﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾آل عمران: ٦٤ وقال تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ...﴾البقرة: ٢٥٦ وهذا الذي جعلها تتصهر مع التصورات والأفكار الجديدة التي أنتجتها عصر العولمة والتكنولوجيا الحديثة، مبادئ الديمقراطية والحداثة المبنية

على ثقافة الحوار وقبول الآخر.والثقافة الإسلامية ليست ثقافة العرب، ولا الفرس، ولا الروم، ولا ثقافة الرجل الأبيض ولا الأسود، إنما هي ثقافة البشر كلهم،على اختلاف أجناسهم وألوانهم فهي لم توضع لجنس ولا للون ولا لبيئة معينة، ورسالة الإسلام عالمية موجهة للبشرية جمعا لأنها تأمر المسلمين بمكارم الأخلاق والتسامح والإخاء والعفو والتعاون على أساس أن البشرية تشمل وحدة إنسانية متكاملة، لأجل ذلك اخترقت الرسالة المحمدية الحدود الزمنية، فامتدت خمسة عشر قرناً من الزمان، وستبقى إلى أن يرث الله الأرض، واخترقت الحدود المكانية فامتدت عبر مشارق الأرض ومغاربها، واحتوت كل اللغات، فأسلم العجم والعرب.وهذا ما تؤكده رسائل النبي صلى الله عليه وسلم إلى الملوك والأمراء في مختلف بقاع العالم يدعوهم فيها إلى الإسلام.ولذلك نجد أن عالمية الثقافة الإسلامية تتمثل في انصهارها مع كل الثقافات لتأخذ ما هو مفيد ونافع، ولكنها لا تذوب لأنها محمية ومحصنة بمصادرها الثابتة والأصيلة: القرآن الكريم والسنة النبوية، فلذلك نجدها امتدت طولاً حتى شملت أياد الزمان، وامتدت عرضاً حتى انتظمت آفاق الأمم، وامتدت عمقاً حتى استوعبت شؤون الدنيا والآخرة.فلذلك نجد أن عالميتها تسهم في رقُي الإنسان من خلال الدعوة التي تحث على التعايش السلمي العالمي بين أبناء الشعوب عن طريق التعارف بما يفضي إلى إسعاد البشر، قال تعالى:﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾الحجرات: ١٣.

"والإسلامُ يقِر بانقسام البشر إلى شعوب وقبائل ولكن هذا ليس،للتناحر والتقاتل والتفاضل، إنما للتعارف، لأن مقياس التفاضل في الإسلام هو التقوى، والإيمان والعمل الصالح،وفي ظل هذا المقياس يرتقي الناس جميعاً ويتنافسون في ميدان العمل الصالح. هذا عكس الثقافات البشرية التي تقوم على اعتبارات وأسس محكومة بالنظرية القومية والعنصرية، فإذا رجعنا لهتلر نجده صنف أمته في المرتبة الأولى

وجعل العرب في الرابعة عشر وكان شعارهم: ألمانيا فوق الجميع.فالثقافة الإسلامية عبر خاصية العالمية تحمل تصوراً نحو الإنسان باعتباره مخلوقاً مسئولا مكلفاً امتزجت تركيبته الخُلقية نفخة من روح الله، وقبضة من طين الأرض، فهذه النفخة الروحية هي التي تدفع كل إنسان للشوق إلى أصله، قال تعالى: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ العنكبوت: ٦١ ولا يزال داء العنصرية يسري في الأمة الغربية، أما في الإسلام فالناس أخوة وقد جاءت تعاليم الإسلام للإنسان كإنسان بغض النظر عن جنسه ولونه وموطنه، جاءت أحكامها وفق الطبيعة الذاتية للإنسان مجردة عن الزمان والمكان، ذلك أن الإنسان كإنسان ثابت لا يتغير ولا يتبدل في روحه وعواطفه وأشواقه وضروراته وغرائزه، أما الثقافات البشرية فكل أمة تستمد ثقافتها من مألوفها وذوقها وموروثاتها الأدبية وظروفها الجغرافية، وضروراتها الإقليمية، وحاجاتها الاجتماعية، فكيف يمكن أن تكون ثقافة امة من هذه الأمم ثقافة للعالم كله، هذا ما يدل على بطلان ما ينادي به الغرب الآن بعالمية الثقافة الغربية، وبطلان نظرية صمويل هنتغتون في صراع الحضارات، وفوكا ياما عن نهاية التاريخ، ومبادئهم الأرضية هذه تتجه إلى فئة معينة من الناس دون سواهم، في حين أن غاية الإسلام إيجاد الإنسان الصالح، فلذلك الإسلام يجعل كل إنسان هدفاً لمنهجه.وذلك حينما نجد أن الثقافة الإسلامية تعرف العالم بمعالم الهوية الإسلامية وتوضح جوانبها للملل الأخرى وهي ضرورة شرعية وفريضة دينية تنبع من هذا الدين العالمي الذي يحرم احتكار الخير، ويأمر بتداوله، ويؤكد ذلك اصطفاء هذه الأمة لتكون آمرة بالمعروف ناهية عن المنكر، قال تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ... ﴾آل عمران: ١١٠ فالهوية الإسلامية شمس يجب أن تسطع على كل بقعة في الكون لتسهم في رُقي الإنسان.

فالواجب على المسلمين حتى يبينوا عالمية الثقافة الإسلامية أن يحولوا الخطاب الحضاري البشري من مفرداته الإقليمية إلى آفاقه العالمية، قال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾الأعراف: ١٥٨ لأن هذه الثقافة هي الوحيدة التي قررت التحول بالنهج البشري من ضيق القوميات المتعددة إلى أفق أوسع أتساعا، والتوسع في مصالح الناس، والنفع من الخصوصية إلى العمومية على أساس من التبادل العادل للمنافع انطلاقا من حقيقة قول النبي صلى الله عليه وسلم:(...أعطه. فإن خير الناس أحسنهم قضاء)[٤٤] وحقيقة أن المسلمين شركاء في ثلاث:(الْمُسْلِمُونَ شُرَكَاءُ في ثَلَاَثٍ في الْكَلإِ وَالْمَاءِ وَالنَّارِ)[٤٥] هذا خلاف عولمة الشر والباطل التي تسعى الثقافات الأخرى من خلالها لنشر قيمها ومبادئها التي تدعو إلى اعتداء الأقوياء على الضعفاء، علماً بأن السلوك الذي ينشأ من هذا الاعتقاد يشير إلى نفوق الموارد الاقتصادية، متناسين العلاقة التي تحكم الأرزاق والدواب.فواجب المسلمين حتى تسهم الثقافة الإسلامية من خلال عالميتها في التدافع والتعاون البشري من أجل صرف الفساد عن الأرض، وإقامة الأمن فيها يقول الله تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ البقرة: ٢٥١ وبهذا تكون الثقافة الإسلامية من خلال عالميتها قد أحدثت تحولاً جذريا بهموم واهتمامات ومسئوليات الناس من القومي والإقليمي إلى المستوى العالمي بقرار وحدة الأسرة البشرية وتكامل مصالحها وأمنها، وأن الأرض سكنهم المشترك الذي ينبغي المحافظة على سلامتها وعدم الإفساد فيها.

**الخاتمة وتشمل:**

**أولاً النتائج:**

توصلت من خلال هذا البحث إلى عدة نتائج من أهمها:

١ – أن المفهوم العام للثقافة الإسلامية تمثل في الحذق والفطنة والذكاء وسرعة التعلم والضبط والتقويم والتهذيب، وهي تعني: معرفة مقومات الأمة الإسلامية العامة بتفاعلاتها في الماضي والحاضر.

٢ – تحقق الثقافة الإسلامية من خلال خصائصها كل حاجات وأشواق الإنسان إذا ما ربط وجوده بها، لأنها صادرة من خالق الإنسان، فهي ترعى وتُنمي من قدرة الإنسان الإبداعية في إطار من الضبط والتنظيم.

٣ – وطالما أن هذه الخصائص نابعة من هدي القرآن الذي يهدي للتي هي أقوم نجد أن هذا لا يتنافى مع التقدم والرقي الذي لا ينافي التمسك بالدين، عكس ما تخيله أعداء الدين لضعاف العقول ممن ينتمي للإسلام من أن التقدم لا يمكن إلاّ بالانسلاخ من دين الإسلام، فهذا باطل لا أساس له، لأن القرآن يدعو إلى التقدم في جميع الميادين التي لها أهمية في دنيا أو دين، في حدود الشريعة الإسلامية.

٤– أن خصائص الثقافة الإسلامية نظام عام عالمي ينصف الشعوب الضعيفة والأمم المظلومة، وصالح البشرية جمعاء،بجلب الاستقرار والطمأنينة، بحيث يشعر كل فرد أنه ليس أقل من غيره، وأنه يحصل على حقه كاملاً غير منقوص.

**ثانياً: التوصيات:**

١ – على المسلمين أن يبذلوا جهداً مكثفاً لإقناع الآخرين بالرُقي الموجود في خصائص الثقافة الإسلامية والتي تمتاز بها عن غيرها من الثقافات؛ والمتمثل في: العدل والمحبة والمساواة والوفاء والمسالمة.

٢ – لأهمية الثقافة الإسلامية بمعناها العام، أوصي جميع المسلمين بدراسة واعية لكل مقوماتها وتراثها، ليتميز كل مسلم عن غيره من أفراد الأمم الأُخرى في أخلاقه وتفكيره واتجاهه وسلوكه، وينهض لأداء رسالتها.

٣ – الدعوة إلى الفضيلة، وإيثار الأخلاق الكريمة، وتعود النفس على المشاعر والعواطف الطيبة.

**ثالثاً: المراجع والمصادر والهوامش**

١/ أساس البلاغة،جار الله أبي القاسم محمود أبن عمر الزمخشري، ط١، ص ٧٤، دار صادر للطباعة والنشر–بيروت – لبنان – سنة ١٤١٢–١٩٩٢م،.

٢/ أخرجه البخاري، كتاب: الجمعة، باب: الطيب للجمعة، حديث رقم:٥٨٠٧، ج ١٤، ص ٤٨٥.

٣/ المرجع نفسه، ص ٧٤.

٤/ معجم المقاييس في اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق شهاب الدين أبو عمرو، ص ١٨٥، دار الفكر _بيروت _لبنان.

٥/ المعجم الوسيط، عبد الله بن إبراهيم الأنصاري،ج٢، ص ٩،طبع على نفقة إدارة التراث الإسلامي بدولة قطر.

٦/ المرجع نفسه، ص ٨٩.

٧/ لسان العرب، محمد بن مكرم ابن منظور، ج ١٢، ط ١، ص ١١٢، دار إحياء التراث الإسلامي – بيروت – لبنان – سنة ٢٠٠٥م.

٨/ مختار الصحاح،محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، ص ٨٤، دار بن كثير– دمشق – بيروت.

٩/ مشكلات الحضارة، مالك بن نبي، ص ١٠٠، دار الفكر دمشق سوريا، سنة ١٤٠٦_١٩٨٦م.

١٠/ المرجع نفسه، ص ٨٢.

١١/ المرجع نفسه، ص ٨٢.

١٢/ المرجع نفسه، ص ٨٥.

١٣/ دراسات في الثقافة الإسلامية، رجب سعيد شهوان،ط٢، ص ٨، مكتبة الفلاح الكويت، سنة١٤٠١_١٩٨١م.

١٤/ معركة الحضارة، قسط نطين زريق، ط١، ص ٣٣، دار العلم بيروت، سنة ١٩٦٤م

١٥/ المرجع نفسه، ص٢٥.

١٦/ الثقافة الإسلامية الماضي والحاضر والمستقبل،محمد زين الهادي العرمابي، نقلاً عن كتاب: ما بين الثقافة والحضارة – لمحمد مضوي،ص٦.

١٧/ العولمة والثقافة الإسلامية، محمد الجوهري حمد الجوهري، ص ٦٢، دار المعارف _ القاهرة – سنة ٢٠٠٥م.

١٨/ مشكلة الثقافة، مالك بن نبي، مرجع سابق، ص ٧٤.

١٩/ أخرجه البخاري، كتاب: الجمعة، باب: الطيب للجمعة، حديث: ١٣٨٥، ج ٣، ص٣٧٩.

٢٠/ الثقافة الإسلامية الأصلية ومستجدات العصر، أمين محمد سلام، ط ٢،ص ١٧، الأكاديميون للنشر والتوزيع –الأردن، سنة ١٤٢٧– ٢٠٠٧م.

٢١/ المرجع نفسه، ص ١٢.

٢٢/ ما بين الثقافة والحضارة، محمد مضوي، ص ٩، مرجع سابق.

٢٣/ دراسات في الثقافة الإسلامية المصادر– الأسس الخصائص– التحديات،أحمد محمد أحمد الجلي، ص ٩، مطابع السودان للعملة – الخرطوم– السودان،سنة ١٤٠– ٢٠٠٦م.

٢٤/ تفسير القرآن الكريم"تفسير المنار، محمد رشيد بن علي رضا ج١١، ص ٢١٩، الهيئة المصرية العامة للكتب سنة ١٩٩٠م.

٢٥/ نحو ثقافة إسلامية أصلية، عمر سليمان الأشقر، ط٨، ص ٤٤، عمان الأردن–دار النفائس للنشر والتوزيع سنة ١٤٢١–٢٠٠٠م.

٢٦/ نحو ثقافة إسلامية أصلية، عمر سليمان الأشقر، ص ٤٤، مرجع سابق.

أضواء البيان، ج ٣، ص ١٣٩٦ -

٢٧/ أخرجه الطبراني، كتاب: المعجم الصغير، باب: الميم من اسمه محمد،حديث: ٩٠٧،ج ٢، ص١٣١.

٢٨/ أخرجه مسلم، كتاب: الإيمان، باب: شعب الإيمان، حديث: ١٦١، ج ١، ص ٤٦

٢٩/ المرجع نفسه، الجزء الثاني، حديث رقم: ٨٦٧٧، ج ٨، ص ٦٣.

٣٠/ تاريخ الأمم والملوك، ابن جرير الطبري، ج ٣، ص ٢٣،دار الفكر – سنة ١٩٧٩م١

٣١/ أخرجه الإمام أحمد، كتاب:مسند المكثرين من الصحابة،باب:مسند أنس بن مالك رضي الله عنه، حديث: ١٢٩٠٢،ج ٢٠، ص ٢٥١

٣٢/ أخرجه الحاكم، كتاب: المستدرك، حديث: ٩٠٩، ج ٢، ص ٣٧٩.

٣٣/ شعب الإيمان للبيهقي،باب:إخلاص العمل لله عز وجل تحريم أعراض الناس،حديث رقم: ٦٤٤٤ ج ٩، ص ١٧٥.

٣٤/ أنظر، دراسات في الثقافة الإسلامية، أحمد محمد أحمد الجلي، ص ٥٥، مرجع سابق.

٣٥/ أخرجه الإمام أحمد،كتاب: تتمة مسند الأنصار، باب:حديث سلمان الفارسي،حديث: ٢٣٧١٩،ج ٣٩،ص ١٢٤.

٣٦/ أخرجه مسلم، كتاب: السلام، باب: فضل ساقي البهائم، حديث: ٥٩٩٦، ج ٧، ص ٤٤.

٣٧/ أخرجه البخاري، كتاب: الجمعة، باب: الطيبُ للجمعة، حديث: ٣٤٨٢، ج٨، ص١٥

٣٨/ أخرجه مسلم، كتاب: الصيد والذبائح، باب: الأمر بإحسان الذبح، حديث: ٥١٦٧،ج ٦،ص ٧٢

٣٩/ أخرجه الإمام أحمد، كتاب: المسند ، باب: المجلد الرابع، حديث: ١٧٠٨٣، ج ٤، ص ١٠٣

٤٠/ أخرجه مسلم: كتاب:الفتن وأشراط الساعة، باب:هلاك هذه الأمة بعضهم، حديث:٧٤٤٠، ج ٨، ص ١٧١.

٤١/ أخرجه البخاري:كتاب:الصلاة،باب:قول النبي صلى الله عليه وسلم،حديث:٤٣٨،ج ١،ص ٤٤٨

٤٢/ أخرجه ابن ماجة،كتاب: التجارات، باب: السلم في الحيوان، حديث: ٢٢٨٥، ج ٢، ص ٧٦٧

٤٣/ أخرجه أبي داؤد في سننه،كتاب:الإجارة،باب: في منع الماء، حديث:٣٤٦٩، ج ٣، ص٢٩٥.